التفكيكية وقراءة الأدب العربي القديم
عبد الفتاح كيليطو نموذجًا

*سامي محمد عبابنة**

ملخص

يحاول هذا البحث أن يكشف عن حضور التفكيكية (Deconstruction) في قراءة الأدب العربي القديم، وذلك بمتابعة القراءات، التي قدمها عبد الفتاح كيليطو لبعض الكتابات العربية في مجموعة من أعماله، التي درس فيها نصوصًا عربية قديمة، بما تضمنته هذه القراءات من مفاهيم إجرائية، تنتمي إلى نزعة التفكيك وفلسفته. وهدف هذا البحث إلى الكشف عن طريقة القراءة، التي قام بها كيليطو لنصوص عربية قديمة، وجدواها في إثراء دلالات هذه النصوص.

وقد قام الباحث بمتابعة مفاهيم التفكيكية في الغرب لإيضاح أبرز سماتها ومرتكزاتها، كما اهتم – أيضًا – بالإشارة إلى تلقّي النقاد العرب للتفكيكية، ثم ما قدّمه كيليطو في هذا المجال.

وقد تبيّن أنّ قراءات كيليطو قد أضمرت أبرز مفاهيم التفكيكية في القراءة مثل: الاختلاف/ الإرجاء (Difference/ Deference)، والمكمل (Supplement)، والأثر (Trace)، والكتابة (writing)، دون أن يشير إلى أنّه يتبنى نزعة التفكيكية وطريقتها في القراءة.

الكلمات الدالة: التفكيكية، قراءة الأدب العربي القديم، عبد الفتاح كيليطو.

المقدمــة

يسعى هذا البحث إلى الكشف عن تمثّل النقاد العرب للتفكيكية في قراءة الأدب العربي القديم خاصة، وذلك بمتابعة دراسات عبد الفتاح كيليطو التي تضمر أسس الطريقة التفكيكية في التعامل مع النص الأدبي، ولا بدّ قبل ذلك من تأصيل الأسس والمرتكزات التي شكلت أساس هذه الطريقة في الغرب، ولا بدّ كذلك من الإشارة إلى حضور التفكيكية في النقد العربي، ثم الاهتمام بدراسات عبد الفتاح كيليطو للأدب العربي القديم، التي قامت على أسس مستمدة من الطروحات المتنوعة والثرية للتفكيكية، وتأتي أهمية هذا العمل من أن كيليطو لا يكشف عن أصول هذه الطريقة في قراءة الأدب العربي القديم والتعامل معه، مما يرجى أن يكشف عن جانب مهم من النشاط النقدي، الذي مورس حول الأدب العربي القديم، والأسس والمرتكزات التي قام عليها هذا النقد.

– **التفكيكية: الفكر ونزعة التفكيك.**

يشير مصطلح "التفكيكية" إلى طريقة في قراءة النص تقوم على نقض الأسس التي ارتكز عليها في بنيته، وزعزعتها، للكشف عن وجوه للدلالة لم تكن في حسبان كاتبه، وذلك باستحضار الدلالة الغائبة للدوالّ اللغوية، وقلب مركزية النص، دون أن تحسم دلالته النهائية في بعد واحد.

لقد بدأت التفكيكية (Deconstruction) مع جاك دريدا (Jacques Derrida) (1930–2004م) كمشروع إعادة نظر في الفلسفة الغربية، وقد تشكّل هذا المشروع على أرضية معرفية تأسست تاريخيًا من مراجعات الفكر الغربي، التي تمت على مدى ما يزيد على قرن من الزمان، بدءًا بما قدّمه نيتشه (Nietzsche) (1844–1900م) من رفض لما أقرّه الفلاسفة قبله حول الحقيقة والماهية والجوهر[1]، ومرورًا بما قدّمه مارتن هايدغر(Martin Heidegger) (1889–1976م) من إعادة النظر بمفاهيم الميتافيزيقيا وإصراره على أنّ مبحث الكينونة في الفلسفة الغربية إنّما هو بحث في الكائن لا في الكينونة، وكان تجاوز الميتافيزيقا والتفكير الميتافيزيقي هو محور محاولاته المتكررة[2].

وبما قدمه ميشيل فوكو (Michel Foucault) (1926–1984م) من طرح مشابه فيما جسّده من فكرة انحلال الأشياء في الكلمات، والنظام في الخطاب. وتمثل المعطى الجوهري، الذي صدرت عنه طريقته، في نظرته إلى أنّ الحقيقة قد تقررت

* قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، الجامعة الأردنية. تاريخ استلام البحث 2014/1/7، وتاريخ قبوله 2014/7/7.

© 2015 عمادة البحث العلمي/ الجامعة الأردنية. جميع الحقوق محفوظة.

تاريخيًا على أنّها نتاج ممارسة خطابية، حتى إنّ الذات هي نتاج "للممارسات الخطابية"[3]، وانتهاءً عند دريدا فيما اختزله بهدم الثنائيات، التي شيدت التكوينات المعرفية للفلسفة الغربية مثل: "الداخل/الخارج، والعقل/الجسد، والحرفي/المجازي، والكلام/الكتابة، والحضور/الغياب، والطبيعة/الثقافة، والشكل/المعنى"[4]، ومن ثمّ فقد انسحب ذلك على ثنائيات النقد الأدبي مثل: الدّالّ/المدلول، والمؤلف/القارئ، والكتابة/القراءة، والنص/الخطاب.

لقد مثلت هذه المحاولات قلبًا عميقًا وجذريًا للمشروع الفلسفي الغربي، لا مجرد تنويعات على معطيات قديمة، أو زعزعة لمفاهيم قبلية كما كان الحال مع الكيجيتو الديكارتي، أو الديالكتيك الهيجلي، أو الخلخلة الفرويدية للذات، فشكّلت سياقًا معرفيًا وبيئة ملائمة لمجيء الفكر التفكيكي، الذي اتكأ على منحى التفكير الساعي نحو التقويض، وإعادة القراءة بجد ومثابرة دون تحديد غاية، أو هدف نهائي ومطلق.

لقد بدأ دريدا برنامجه التفكيكي على هذه الأرضية المعرفية، فشكّل طرح هايدغر منطلقًا لاستراتيجيته، ونقدًا له في الآن ذاته، وهو يلخص صلته بهايدغر بقوله: "إنّه هو من قرع نواقيس نهاية الميتافيزيقا، وعلّمنا أن نسلك معها سلوكًا "استراتيجيًا" يقوم على التموضع داخل الظاهرة، وتوجيه ضربات متوالية لها من الداخل...، وأن نطرح عليها أسئلة تُظهر أمامها من تلقاء نفسها عجزها عن الإجابة، وتُفصح عن تناقضها الجواني. أمّا بالنسبة لنقد (هايدغر)، فهذا ما كنت أقوم به في الواقع منذ البداية. ففي جوانب كثيرة من عمله، وجدته ما يزال حبيس الرؤية الميتافيزيقية، هناك لديه أولاً استمرار لتمركز اللوغوس أو العقل"[5].

ويشير هذا التعليق إلى طبيعة الأرضية المعرفية التي تشكّلت التفكيكية فيها، فكما اعتبر هايدغر نيشته أنّه قد وقع في الميتافيزيقا التي نقدها، كذلك ينظر دريدا إلى هايدغر أنّه دعا إلى تجاوز الميتافيزيقا، لكنّه في واقع الأمر لم يستطع الخروج منها، كما أنّه يحمل من جهة أخرى الحدث الإجرائي لطبيعة التفكيك القائم على التموضع داخل الظاهرة، وتوجيه ضربات لها من الداخل؛ لتفصح عن عجزها وتناقضها الجواني.

وبخصوص مفردة "التفكيك" يكشف دريدا أنّها قد فرضت نفسها عليه بطريقة شديدة العفوية، وذلك عندما كان يبحث في كتابه: "في علم الكتابة" عن مفردة تترجم ما قصده هايدغر بكلمتي نقض (Abbau) وهدم (Destruktion) الألمانيتين، فراح يبحث عن مفردة قادرة على وصف نمط القراءة الذي اقترحه، فتوصل إلى مفردة: (Deconstruction)[6]، فعُرفت طريقته في القراءة بهذا الاسم مع أنّها لم تكن "الشعار الذي اختاره دريدا لفكره"[7]، فواقع الأمر إذًا أنّ ما اهتم به دريدا هو مجموعة من المصطلحات التي التصقت بفكره وطريقته في القراءة مثل: الاختلاف (Difference/ Deference)، والأثر (Trace)[8]، والكتابة (writing)، والمكمل (Supplement)، إذ لا تشير هذه المفردات إلى دلالة واحدة، فهي مزدوجة القيمة، "أو ذات قيمة غير قابلة للتعيين"[9]، فالاختلاف على النحو الذي صاغه دريدا يشير إلى الاختلاف والإرجاء معًا، والأثر يشير إلى الحضور والغياب، والكتابة تجمع القراءة والكتابة، والمكمل يشير إلى الاكتمال والنقص.

وهكذا تُظهر هذه النزعة في التعامل مع الدّالّ اللغوي نقض الثنائية الراسخة في اللسانيات بين الدّالّ والمدلول، بحيث لا تعود العلاقة بينهما قائمة على الاختلاف[10]، ولا على أساس الحضور والغياب: حضور الدّالّ بغياب المدلول، أو العكس بهذا الشكل من الانفصال والتراتبية بين العمليتين، فالمعنى ما عاد يقيم خارج اللغة، بل هو منتج اللغة[11]، وهكذا تعمل هذه النزعة على خلخلة النظام الذي ساد عن اللغة منذ فرديناند دي سوسير (F. D. Saussure)، و"تموضع نفسها في التقابلات الثنائية لتبحث عن النقاط البينية التي تشوش هذا التقابل، وتخلخل هذا النظام، وهي تعمل ضمن ما يدعوه دريدا بـ"ما لا يمكن حسمه" (non decidable)"[12]، إذ لا تسعى إلى إقامة حدّ ثالث بين الثنائيات والتقابلات.

إن ما سبق هو بمثابة مصادرة لطبيعة الخطاب المنتج للفكر التفكيكي، أي أنّه ليس غاية في ذاته وإنّما أريد به الكشف عن أمور في غاية الأهمية:

- **أولها** أنّ التفكيكية تحمل في طياتها رهانات فلسفية ومعرفية من غير الممكن فصلها عنها عند هجرتها، أو نقلها، أو تلقيها.
- و**الأمر الثاني**: أنّ التفكيكية ليست منهجًا نقديًا، ولا تسعى إلى أن تتحول إلى أرث منهجي كما يقول دريدا[13].
- و**الأمر الثالث**: ليست التفكيكية طريقة في معاينة النص بقدر ما هي نزعة، أو نزوع لنقد أساس النص، والقراءة في هذه الحالة تعمد إلى قراءة أو تأويل النصوص "بحيث تحدد منطق اشتغال النص"[14]، فما يريده دريدا من القراءة ألا تكون قراءة شكلانية محايثة للنص، إذ يظل شيء ما ناقصًا[15]، وإنّما التموضع داخل الظاهرة للكشف عن أبعاد تتجاوز ما قد ينظر إليه على أنّه مركزي وجوهري، وإحلال ما بدا هامشيًا مكانه، أي باختصار تقديم كلّ ما من شأنه أن يحلّ مركزية النص ليضعضعها، ويعمل على تشويشها.

وبذلك فالقراءة التفكيكية لا تقدم إبدالات، وإنّما تسعى إلى

إحلال احتمالات جديدة في أفق النص لم يكن قد تأسس من منطلقها، ولا على اعتبارها، ومن ثمّ كأنّ القراءة تعمل على هدم مقولة النص الأساسية وزعزعتها، دون أن تلغيها. وبعبارة أخرى: إنّ منحى التفكيك يقوم على مبدأ مهم، وهو التحرر من التمركز العقلي (Logo Centrism) الذي لا يتم إلا بالقراءة والكتابة، هذا التحرر هو ما سيسفر عن تقويض أحادية الدّلالة في اللغة.

- **التفكيكية والنقد الأدبي:**

لم تكن تفكيكية دريدا تسعى لأن تختص بقراءة الأعمال الأدبية، بل إنّه ليس من شأن دريدا أن يختص فكره التفكيكي بنوع كتابي دون غيره، وعلى الرّغم من أنّ منحاه لا ينبغي أن يتحول إلى إرث منهجي كما كان قد صرّح، إلا أنّه عندما سئل عن أنّه قد أصبح يمثل مدرسة خصوصًا في الولايات المتحدة الأمريكية، أجاب بصحة ذلك، وأنّ هذا الأمر قد جعل منحاه منحى مؤسساتيًا، تعليميًا، في حين أنّه كان يسعى لأن يقيم خطابه خارج المؤسسة[16].

حقيقة إنّ لقاء دريدا بالنقاد الأمريكيين هو ما جعل منحاه التفكيكي واحدًا من اتجاهات النظرية الأدبية المعاصرة، ويرى ريتشارد رورتي (Richard Rorty) أنّ شهرة دريدا لم تجئ عن طريق أقرانه الفلاسفة، "بل جاءت عن طريق نقاد الأدب (الذين كانوا يجدّون وراء وسائل جديدة لقراءة النصوص بدلاً من السعي وراء فهم التاريخ الفكري فهمًا جديدًا) – فقد صار هذا الشعار... لصيقًا بمدرسة فوجئ دريدا بأنّه صار رائدًا لها مما أصابه بالذهول"[17].

ويعدّ بول دي مان (Poul De Man) أول من بدأ دعوة للاهتمام بالفلسفة في النقد الأمريكي، الذي كان قد استقر منذ عقود على فكرة استبعاد التاريخ، أو الفلسفة في نقد النصوص الأدبية[18]، وهو ما كان ناتجًا عن الإرث الذي ورثه النقاد الأمريكيون من النقد الجديد الأنجلو–أمريكي (Anglo - American New Criticism)، ومع بداية السبعينات نظر إلى أنّ تفكيك النصوص الأدبية "يتعاضد مع هدم المؤسسات الاجتماعية غير العادلة، وأنّ التفكيك كان – إذا جاز التعبير – إسهامًا متميزًا قام به أكاديميو الأدب في الجهود التي تسعى إلى تغيير اجتماعي جذري"[19]، بعد ذلك وعلى إثر زيارات دريدا المتكررة إلى جامعة ييل (Yale) تأسست مدرسة ييل في النقد الأدبي، وضمّت كلاً من: هارولد بلوم (Harold Bleom)، وجيوفري هارتمان (Geoffrey Hartman)، وج. هيلس ميلر (J. Hillis Mille) بالإضافة إلى دي مان ودريدا[20].

وقد أسفر هذا اللقاء عن دخول التفكيكية إلى الدراسات النقدية، وقد قدّم هؤلاء النقاد مفاهيمهم الخاصة، التي شكلت عمدة القراءات التفكيكية في النقد الأدبي، إذ تجلت طريقة بول دي مان فيما دعاه "العمى" في كتابات النقاد، وهو على حدّ قوله: "المعادل الضروري للطبيعة البلاغية للغة الأدب"[21]، وذلك أنّ متابعة لحظات العمى تمكن من الكشف عن أعظم لحظات البصيرة، ليشير بذلك إلى قدرة القراءة التفكيكية على الوصول إلى مدلولات لم تكن واردة بحسبان مؤلفيها.

أما ج. هيلس ميلر فقد تابع هذه الطريقة في القراءة من خلال مواجهة النص بالسؤال الذي سيحل الخيط الجامع له، أو البحث عن الحجر القلق الذي سيهدم البناء كله[22].

ويختلف الأمر في فهم القراءة لدى جيوفري هارتمان وهارولد بلوم، إذ يدعي بلوم ألا علاقة له بالتفكيكية[23]، ويرى هارتمان أنّ أهمية عمل دريدا في أنّه يهدم أي اختلاف أساسي بين النصوص الأدبية والنقدية، ويرى أنّه ليس هناك تناقض بين الكاتب الخلاق (Dichter) والناقد المفكر (Deuker)، وأنّ على الكتابة النقدية أن تصبح كالأدب توظف الحيل المجازية والبلاغية نفسها للنصوص الأدبية، فالنقد الأدبي لا يؤدي خدمة ثانوية للأدب[24]، وعلى أساس ذلك يعد النقد سوء قراءة خلاق (creative misreading)[25].

لقد قام هذا الفهم على فكرة أساسية قوامها أنّ كل النصوص مشكلة من دوالّ اللغة وأنظمتها، وهي في المجمل تحيل إلى اللغة في النهاية، أي أنّ أية كتابة هي كلمات ترجع إلى كلمات وهكذا.

- **لقاء العرب بالتفكيكية:**

لقد نقل مصطلح (Deconstruction) إلى العربية بأكثر من ترجمة؛ وكان أشيعها في الدراسات النقدية العربية مصطلح "التفكيكية"، وقد ظهر إلى جانبه مصطلحات أخرى، مثل: "التشريحية" عند عبد الله الغذّامي[26]، و"التفكيك" عند عبد الله إبراهيم[27]، و"التقويض" عند عبد الملك مرتاض[28]، و"الانزلاقية" عند عبد الوهاب المسيري[29]، و"اللابناء" عند شكري عزيز الماضي[30]، وغير ذلك.

ويمكن إجمال طرق لقاء النقاد العرب بالتفكيكية بثلاث طرق: تمّ أولها بالالتقاء بالأرضية المعرفية التي شكّلت أسس نزعة التفكيك ممثلاً ذلك في مفهوم "الحداثة"، وجاء ثانيها في الترجمة المباشرة، وكان ثالثها في تبني النزعة التفكيكية في قراءة نصوص الأدب العربي، وهو ما سيتم التركيز عليه، خاصة ما قدمه عبد الفتاح كيليطو.

لقد بدأ تلقي العرب للفكر الذي حملته التفكيكية من خلال تداول أدونيس وخالدة سعيد ويمنى العيد وكمال أبو ديب لمفهوم الحداثة[31]، ومن الواضح أنّ هذا اللقاء قد تمّ مع الأرضية المعرفية والرهانات الفلسفية، التي أسست لفكر التفكيك

مما أشير إليه سابقًا، ولم يكن لقاءً مع التفكيكية ذاتها.

ويبدو أنّه على الرّغم من تأخر معرفة النقاد العرب بالتفكيكية تمامًا على صعيدي الترجمة والتنظير إلى أواسط الثمنينات تقريبًا، فإنّه قد صادف أن ترجم محمد البكري مقالة دريدا "البنية والعلامة واللعب في خطاب العلوم الإنسانية" (structure , sign , play in discourse of the human sciences) التي ألقاها في مؤتمر عقد في جامعة جون هوبكنز (John Hopkins) وعدت بداية مرحلة ما بعد البنيوية[32]، ونشرها البكري في مجلة الثقافية الجديدة المغربية سنة 1978م[33].

ثم بدأت مفردة التفكيك والتفكيكية، وأحيانًا التشريحية، تشيع في الدراسات النقدية العربية، ولعلّ الأسبقية كانت بما قدّمه عبد الله الغذامي في دراسة بعنوان: "الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية" سنة 1985م، وهذه الدراسة النقدية – التي حاولت تتبع الاتجاهات النقدية الغربية من حركة الشكلانيين الروس إلى التفكيكية التي دعاها الغذامي التشريحية– لم تستطع أن تقدّم التفكيكية للنقد العربي إلا بالقدر الذي يسمح باستيعابها، واستيعاب منطلقاتها المعرفية والتكوينية، فقد اقتصر "على القدر المقبول منها في الوسط الثقافي العربي المحافظ"[34]، ولعلّ أخطر ما في الأمر أنّ الغذامي قد قدّم فهمه الخاص للتفكيكية أكثر من أن يكون قد قدّم التفكيكية فعلاً، وهو أمر يتضح من طريقة قراءته لشعر حمزة شحاتة، وقد وصف طريقته في القراءة بقوله: "تبدأ من النص لتفككه إلى (جمل). ويتم تمييز هذه الجمل وتصنيفها حسب مستواها الفني، ثم تقوم بإدراج كل مجموعة من هذه الجمل مع مماثلاتها في النصوص الأخرى لنفس الكاتب... ومن هذا التمييز والدمج للجمل نستخرج من الأعمال الكاملة نصوصًا جديدة قمنا نحن بترتيبها"[35]، إذ يظهر هذا الوصف القراءة وكأنّها عملية آلية تتم من خلال مجموعة من الإجراءات، وهو أمر يشير إلى بساطة فهم القراءة التفكيكية، وهو أمر يتجلى بوضوح – أيضًا – في قراءته شعر حمزة شحاتة عندما يصر على مفاهيم مستمدة من علم النفس وعلم النفس الجمعي، مثل: الإبداع، واللاوعي الجمعي (Archetype)[36].

واستخدم عبد الملك مرتاض مصطلحي "تفكيكية" و"تشريحية" في أكثر من دراسة للأدب العربي[37]، واقترح – أخيرًا – مصطلح "تقويض" كما أشير سابقًا. وقد وصف في دراساته بأنّه "لم يتخذ مصطلحه هذا عنوانًا واكتفى بتقليد جلّ الدراسات العربية في جمعه بين الدراسات التفكيكية والسيميائية"[38].

وربط عبد الله إبراهيم بين "التفكيك" ودلالته على "التهديم، والتخريب، والتشريح"[39]، وعدّ التفكيكية منهجًا نقديًا كما يبدو في عنوان دراسة، اشترك فيها مع سعيد الغانمي وعلي عواد، حملت عنوان: "معرفة الآخر مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة"[40].

كما اهتم كمال أبو ديب بالتفكيكية في التسعينات من القرن الماضي، وبدأ أول محاولة لتقديم قراءة تعتمد على المنحى التفكيكي في بحثه الذي نشره في مجلة فصول سنة 1996م بعنوان: "الواحد/المتعدد البنية المعرفية والعلاقة بين النص والعالم"، وركز فيه على فكرة مفادها أنّ لغة الشعر العربي المعاصر قد قامت على سمة خاصة تعمل على رفض العلاقة الجاهزة والثابتة للدّالّ بالمدلول في اللغة على أساس ما سماه (ظاهرة إعادة التسمية)، عادًّا ذلك خروجًا عن الرؤية المركزية المحددة للعالم[41]، لتصبح اللغة بؤرة من الاحتمالات[42].

ثم أتبعها في العام التالي دراسة جديدة بعنوان: "جماليات التجاور أو تشابك الفضاءات الإبداعية"[43]، وسعى فيها كمال أبو ديب إلى تقديم قراءة ترتكز على معطيات نزعة التفكيك دون أن يبلورها بخطوات منهجية ثابتة، محاولاً التماشي مع حيثيات الفكر التفكيكي أكثر من أن يلتزم بالتفكيكية في إطارها النقدي الذي قدمته المدرسة الأمريكية.

ولعلّ مما ينبغي الإشارة إليه حضور التفكيكية في بعض الدراسات الفلسفية العربية، وهو ما ظهر عند عبد السلام بنعبد العالي، وعبد الوهاب المسيري. فقد طرح عبد السلام بنعبد العالي مفهومي "القراءة" و"الكتابة" استنادًا إلى ما قدمه جاك دريدا؛ وأشار إلى "أنّ كلّ كتابة/قراءة تريد أن تقوض الميتافيزيقا"[44]. أمّا عبد الوهاب المسيري فيرى إمكانية ترجمة (Deconstruction) بالانزلاقية، مع أنّه استخدم مصطلحي "التفكيك" و"التقويض" أيضًا، مشيرًا إلى أنّ هذه الترجمة أقرب إلى المفهوم الكامن وراء الكلمة لا الكلمة ذاتها[45].

إنّ حصيلة هذه الاهتمامات بالتفكيكية عند النقاد العرب قد تباينت بين تقديمها في أطر نظرية منقولة عن أعلام التفكيكية في الغرب؛ كما ظهر عند عبد الله إبراهيم، أو تبنيها في دراسة الأدب العربي برؤية خاصة ممزوجة بمناهج نقدية لعلّ أبرزها السيميائية؛ كما قدّمها الغذامي ومرتاض، أو محاولة اكتناه جوهرها مع عدم استغلال نزعة القراءة الخاصة بها بشكل وافر؛ كما في دراستي كمال أبو ديب.

- **القراءة التفكيكية عند عبد الفتاح كيليطو:**

يمثل ما جاء به عبد الفتاح كيليطو فهمًا مختلفًا للتفكيكية في قراءاته المتعددة للأدب العربي القديم، ولعلّ بدايات كيليطو البنيوية في كتابه: "الأدب والغرابة دراسات بنيوية في الأدب العربي" (1982م)، لم تخلُ من بعض ملامح التفكيكية وبعض تصوراتها، وهو ما يتضح بوقوفه عند مفهوم النص الأدبي

وعلاقته بالأنواع الأدبية، فقد بحث عن تعريف للنص الأدبي "يشمل جميع الأنواع التي تعتبر أدبية، أي يجب أن لا ينظر إلى الأنواع على حدة وإنّما إلى النص الأدبي كيفما كان نوعه"[46]، وهو ما يشي بتجاوز فكرة الأنواع الأدبية وإلغائها كما سيتضح تاليًا.

كما أنّ حديثه في هذا الكتاب عن تاريخ الشاعر[47]، والمطالبة بإعادة النظر في الطريقة التي يقدم فيها الشاعر في الدراسات النقدية التقليدية يشي أيضًا بفكرة تجاوز مفهوم الشاعر أو المؤلف التقليدية، وهذه الملامح ستتجلى على نحو واضح بمتابعة قراءاته وما تضمره من مفاهيم، وما تبلوره من تأويلات، التي قدمها في كتابات عدة، لعلّ أهمها:

1- **الكتابة والتناسخ مفهوم المؤلف في الثقافة العربية،** وقد صدر في ترجمة عبد السلام بنعبد العالي العربية سنة 1985م.

2- **الغائب دراسة في مقامة للحريري،** 1987م.

3- **الحكاية والتأويل،** 1987م.

4- **العين والإبرة دراسة في ألف ليلة وليلة،** وصدرت الطبعة الأولى بترجمة مصطفى النحال سنة 1995م.

لقد تضمنت هذه الدراسات نزعة التفكيكية في القراءة، ويمكن إجمالها ضمن المفاهيم والأبعاد الآتية، التي تؤكّد صلتها بذلك:

أولاً: إعادة النظر في مفهوم المؤلف:

قامت الدراسة الأولى على الفكرة التي جسدت فهمًا خاصًا للمؤلف في مرحلة ما بعد البنيوية تحت تأثير النزعة التفكيكية، إذ عدّ على أساسها مجرد قارئ لأعمال من سبقوه، وعلى هذا الأساس يكشف كيليطو عن مفهوم المؤلف في الثقافة العربية متناولاً الشعر، والكتابات النثرية التي تركزت حول الجاحظ على وجه الخصوص، ويصل إلى نتيجة مفادها التفريق بين:

- المؤلف الفعلي: وهو الذي تنسب إليه الكتابة. وهو مُزيف يعمل وفقًا لأسسٍ شكّلها الخطاب الثقافي.

- والمؤلف الحق: وهو الشخص الذي يدبر الأمر في الخفاء، إنّه حصيلة الوضع الثقافي المتجسد في الخطاب المعرفي في مجال ما، وما المؤلف الفعلي سوى مزيف، أو أنّه يظهر كامتداد زائد للمؤلف الحق، وهو بمثابة كائن طفيلي[48].

وعلى أساس ذلك فالشاعر الجاهلي عندما كان يقف على الطلل، إنّما هو مؤلف فعلي لا المؤلف الحق؛ لأنّه في وقوفه هذا إنّما ينصت للشعراء الذين سبقوه، إنما ينصت - كما فعل عنترة - إلى تقليد شعري ترسخ بهيئة خطاب القصيدة الجاهلية[49]، وكذلك الأمر كثير من كتابات الجاحظ وما ينسبه إلى غيره من مؤلفات[50].

والفكرة التي يؤسس لها كيليطو تكمن في أنّ كلّ مؤلف إنّما يحاول أن ينسجم مع نمط الخطاب الجمعي ليكون صوته مسموعًا، فلا بدّ له من أن يضم صوته إلى صوت الجوقة، ومن ثمّ فليس هناك مؤلف وإنّما محاكٍ، وهو قارئ باستمرار لنمط الخطاب.

ثانيًا: المعنى الهامشي وفائض الدلالة:

قدّم كيليطو في الدراسة الثانية "الغائب" قراءة لمقامة الحريري الخامسة (الكوفية)، وقد تضمنت أبرز ما يمثل منحاه في القراءة التفكيكية، ليس ذلك على صعيد إحالاته المتعددة إلى دريدا فيما يتعلق بفكرة فائض الدلالة[51]، أو الكتابة المرتبطة "بالتأجيل، بالإرجاء، بالغياب"[52] ودورها المتمم والمكمل[53]، والحضور والغياب، وتحرر الكتابة من وضعيتها الثانوية بالنسبة للقول[54]، وجميعها مفاهيم تفكيكية تتوزع في ثنايا القراءة دون أن تشعر قارئه بأنّه يقيم استراتيجية قراءة مستمدة من التفكيكية، وإنّما تظهر كنزوع ورغبة في الكشف عن قوة عمل اللغة داخل نص المقامة، إنّ قراءته للمقامة تجسّد فكرة أنّ المعنى منتج اللغة، لا ناتجة عن مؤلفها الحريري أو سياقه التاريخي، وإذا كانت القراءة تشير إلى أنّ هذه المقامة إنّما هي قراءة لنمط خطابي يجد تجسده في مجموعة من النصوص التي تنتمي إلى عدة أنوع كلها تدور حول (القمر) و(الشمس)، هذه الأنواع هي:

- الخطاب البلاغي مجسّدًا في نصين يوردهما عبد القاهر الجرجاني في كتابه "أسرار البلاغة" عن الشمس والقمر.
- الشعر كما يتمثل في أبيات لابن المعتز عن الشمس والقمر.
- الخرافة كما تتمثل في حكايات "ألف ليلة وليلة".
- المثل كما ظهر في أمثال الميداني.

وكلها تحكي عن علاقة القمر بالشمس[55].

والبدء بالنظر إلى هذه النصوص على أنّها ذات صلة بنص المقامة إنّما يجسد الفكرة التي ترى أنّ الخطاب الأدبي هو المسؤول عن تشكّل نص المقامة، وأنّ المعنى هو ناتج عن لغة هذا الخطاب، وكلّ ذلك يؤكد غياب المؤلف وموته بحسب تصورات ما بعد البنيوية.

أمّا عن صلة علاقة القمر بالشمس في هذه النصوص فهي تبدأ بالليل وتنتهي عند طلوع الفجر، أي أنّها بحسب تعبير كيليطو تبدأ تحت حكم القمر، وتنتهي تحت حكم الشمس.

وفي محاولة القراءة للكشف عن سرّ ذلك تتجاوز التأويلات الممكنة، وهي أنّ المقامة تقوم على السمر ووقته لا يكون إلا في الليل، أو أنّ موضوع المقامة هو الخداع والليل هو الزمن المناسب لذلك. إنّ القراءة تتجاوز مثل هذه التأويلات ولكنها لا

تلغيها، وإنّما تحاول الكشف عن أبعاد أخرى لا يمكنها أن تكون في مركز الدّلالة المشكلة، ولإظهار ذلك يمكن تناول القراءة من خلال ما يعبر عنه في القراءة التفكيكية بفائض الدّلالة.

وفائض الدلالة ناجم عن النظرة إلى اللغة على أنّها قادرة على أن تقول أكثر مما يقصد منها مستخدمها، وذلك يتحقق في بعدين:

الأول: ما يمكن التعبير عنه بقيمة الدّالّ الباذخة: إذ ليس هناك من دالّ إلا ويستصحب معه كوكبة من الدّوالّ، والأمر شبيه هنا بما عبر عنه بيرس (Peirce) من قبل باندحار العلامة اللامتناهي[56]، وهو ما يتجسّد في التفكيكية من خلال تقويض فكرة الاختلاف بين الدّوالّ، والاعتباطية بين الدّالّ والمدلول، بحيث ينحلّ كل واحد منهما في الآخر، فالدالّ إذ يشير إلى مدلول، يتحول هذا الأخير إلى دالّ يشير بدوره إلى مدلول، وهكذا في سلسلة لا متناهية.

والثاني: تقويض فكرة المدلول النهائي أو المطلق أو الفائق (The transcendental signified)[57]، فليس هناك من مدلول نهائي مطلق تنتهي فيه أو عنده الدّوالّ، هناك دلالة مرجأة دائمًا.

يظهر هذان البعدان في قراءة كيليطو في قوله: "إنّ عنصرًا واحدًا قد تكون له دلالات متعددة، تعدد الدلالة لا ينتج من الكلمة في حدّ ذاتها...، وإنّما من ارتباط الكلمة بكلمات قريبة أو بعيدة، كلمات تكون في النص المدروس أو في نصوص أخرى. إنّ تعدد الدلالات ينتج من تعدد العلاقات. فالنص يصير "غنيًا" بالمعاني عندما يفلح القارئ في تركيب علاقات خفية بين عناصره وعناصر نصوص أخرى"[58]، وهو قريب مما يذهب إليه دريدا، إذ يتصور دريدا الفكرة على أساس أن العلامة (الإشارة اللغوية) حرة في اللغة، وتقوم الكتابة بلعبة تسعى إلى تنظيم حركة العلامة، ثم إن الكتابة – اللعب "يعود على نفسه، ماحيًا الحدّ الذي كان يعتقد بإمكان تنظيم حركة العلامات انطلاقًا منه، وجارًا معه جميع المدلولات المطمئنة، مطوحًا بجميع الأماكن الحصينة"[59]. وعن هذين البعدين لا ينتج فائض الدّلالة وحده، وإنّما ما عبر عنه دريدا – أيضًا– بما لا يمكن حسمه.

أما حضور ذلك في قراءة كيليطو فيظهر في تناول شبكة الدّوالّ التي تنتجها القراءة في نص المقامة التي يمكن مقاربتها على النحو التالي:

عند تناول الدّالّ (القمر) وشبكة العلاقات التي يتماهى معها في النص، والنصوص المقروءة في المقامة تعطي النتائج الآتية:

- تبدأ المقامة بما يحكى نقلاً عن الحارث بن همّام عن غياب (القمر) مما يؤدي إلى انفضاض مجلس السمر.
- عندها يطرق الباب طارق يشبه نفسه "بهلال الأفق إذا افترا"، وهو أبو زيد السروجي، وتفسر القراءة هذا التشبيه بين القمر وأبي زيد على أساس أنّ كليهما متقلب الحال متلونٌ.
- هذه الصفة تشبه صفة الحية المتقلبة، وعند العودة إلى لسان العرب تكشف القراءة أنّ من الدلالات التي تعنيها كلمة (الهلال): الحية إذا سُلخت[60].
- عندما يشعل السراج يتعرف الحارث بن همّام إلى شخصية أبي زيد فيصفه بقمر الشّعر، وبدر النثر. فيقول: "إنْ يكن أفل قمر الشِّعرى فقد طلع قمر الشّعر، أو استرّ بدر النَّثرة، فقد تبلج بدر النثر"؛ أي أن أبا زيد يعوض غياب القمر.
- عندما يصف أبو زيد حاله وما لحقه من حاجة وعوز يشبّه جرابه بقلب أم موسى عليه السلام، فيقول: "وجرابٍ كفؤاد أمّ موسى"، وهنا لا يتوقف كيليطو عند الشبه بين حكاية أبي زيد الذي تخلى فيها عن ابنه وحكاية أمّ موسى عليه السلام التي تخلت عن ابنها فحسب، وإنّما يتنبّه – أيضًا – إلى حضور عصا موسى عليه السلام، وكان قد ورد قبل ذلك في المقامة حاجة أبي زيد نتيجة كثرة السفر إلى عصا، وعندما أراد الدخول على جماعة السمر قيل له: "ألقِ عصاك"، وهو ما قيل لسيدنا موسى عليه السلام: "وقيل ألقِ عصاك يا موسى". ثم إنّ عصا موسى قد تحولت إلى حيّة. وهكذا يتم تحقيق فائض الدلالة من خلال التركيز على الحمولة الفكرية التي تلقي بها شبكة الدوالّ المنحلة في بعضها والمتماهية في موضوعة واحدة تقود إلى فكرة الخداع والحجة (القمر والشمس) كما سيظهر في النهاية.
- بعد أن يروي أبو زيد حكايته وتنطلي الخدعة على الجماعة بما فيهم الحارث بن همّام، وهي (خدعة القمر الذي يسرق ضوء الشمس بحسب أبيات ابن المعتز التي بدأت بها القراءة)، يتعهد كل منهم بدفع عشرين دينارًا في الصباح لأبي زيد ليخرجوه من محنته ويتمكن من لقاء ابنه المزعوم زيد وأمّه برّة، عندها يطلب أبو زيد منهم كتابة حكايته التي نسبها إلى القضاء أبو العجب، فيقول الحارث: "فأحضرنا الدواةَ وأساودَها، ورقشنا الحكاية على ما سردها"، وهنا يلجأ كيليطو إلى لعبته المفضلة لعبة الدّوالّ، فيشير إلى أن الأساود هي جمع أسود وقصد بها الأقلام، والأسود في اللغة من أسماء الحيّة. أمّا قوله رقشنا فالرقش الأسود والأبيض، وهي صفة للحيّة الرقشاء[61].

فمن الملحوظ في هذه القراءة أنها تتبع الدّوالّ اللغوية في حضورها النصي في نص المقامة وفي نصوص أخرى، والاهتمام –أيضًا– بما تحمله هذه الدّوالّ في اللغة من مدلولات لتظهر أنّ المعنى في النهاية هو منتج اللغة، وعلى أساس ذلك

جرت القراءة بتتبع الدلالات الهامشية للدّوالّ مما لم يكن في الحسبان، منتجة حزمة من الاحتمالات الدّلالية دون أن تحسم العملية في دلالة محددة تنفي ما عداها.

ويتوقف كيليطو بعد ذلك عند الساردين في المقامة، وهم على التوالي:

– السارد الأول غير المعروف الذي يظهر في بداية المقامة ويروي عن الحارث بن همّام بقوله: "حكى الحارث..."، وحكى هنا لا تشير إلى فعل الرواية وحده، وإنّما إلى المحاكاة أيضًا بحسب قراءة كيليطو، التي تستحضر الدلالات الغائبة، و"إلى التقليد والاقتداء بالغير"[62]، وذلك إشارة إلى أن المقامة هي محاكاة للنصوص السابقة، وقد يكون الحريري نفسه هو السارد الأول[63].

– السارد الثاني: الحارث بن همّام يروي ما حدث معه وما رواه أبو زيد من حكايته مع ابنه.

– السارد الثالث: هو أبو زيد الذي يروي ما حكاه ابنه المزعوم زيد.

– السارد الرابع: هو الابن المزعوم زيد الذي يروي ما حكته أمّه برّة.

– السارد الخامس: الأمّ برّة حكت ما جرى من زواجها بأبي زيد.

وعندما يتساءل كيليطو عن الرّواة ومن هو الذي وجهت له المقامة، يقول: "لا يجب أن نتسرع في الجواب، بل ليس من الضروري أن نصل إلى جواب"[64]، وهو ما يشير إلى أنّ تحديد الرواة على هذه الشاكلة ليس من أجل تحديد راوٍ بعينه، فهذا ما لا يمكن حسمه، ولكنّ القراءة تهدف إلى تشويش العلاقات المستقرة، لتقلب المركزية المنطقية التي يقوم عليها النص.

ثم يشير إلى أنّ أبا زيد راوٍ محتال لا يؤتمن يختلق الأحداث، وينسب القول إلى الأشباح، أمّا الحارث فهو راوٍ ثقة يعتمد عليه ويتكل على عدالته، وبعبارة وجيزة: "أبو زيد كاذب والحارث صادق"[65]، وهذا التعارض "يؤول في نهاية الأمر إلى التعارض بين الشمس والقمر"[66].

ثالثًا: الأثر:

قدم دريدا مفهوم "الأثر" بقوله: "إنّ الأثر لا يعني فقط اختفاء الأصل، إنّه يعني هنا – في الخطاب الذي نتبناه والمسار الذي نبتغيه – أنّ الأصل لم يختفِ، إذ إنّه لم يتكون يومًا ما إلاّ في مقابل اللا–أصل، أي الأثر، الذي يصبح هنا أصل الأصل...، ينبغي علينا الحديث عن أثر أصلي architrace. وبرغم ذلك نعرف أنّ هذا المفهوم يدمر الاسم الذي يحمله، وأنّه لو بدأ كلّ شيء بالأثر فلن يكون هناك أثر أصلي"[67]، وحصيلة هذا المفهوم تشير إلى عدم وجود أصل باستمرار، وأنّ كل نص يدخل في علاقة لا نهائية مع نصوص أخرى، والتي تستمد لا نهائيتها من حمولة اللغة، فالدوالّ اللغوية لا يمكن أن يتم تصورها بعيدًا عن الأنساق التركيبية التي تحدد طبيعتها ووظيفتها ودلالتها في اللغة؛ أي أنّ كلّ دالّ في اللغة تحضر قيمته من سياق استخدامه واستعماله، ومن ثمّ سيُحضر الدالّ هذه السياقات والدلالات العالقة به من استخداماته في نصوص سابقة بدرجة يتعذر فيها الوصول إلى سياق الاستخدام الأول، هذا الاستحضار هو الأثر، والأثر يدلّ على وجود من ترك الأثر الذي هو الأصل، وهو غير موجود بحسب افتراضات الفكر التفكيكي، وهو ما يوصل – في النهاية – إلى فكرة نفي الانفصام بين الكتابة والقراءة، أي أن كلّ كتابة هي عملية قراءة، وهو ما يتم التعبير عنه –أحيانًا – بـ"شبكة النصوص".

هذه الفكرة تحضر عند كيليطو عندما يشير إلى أنّ مقامة الحريري لها ماضيها وترحالها، فقد كان الهمذاني قد كتب مقامة حملت عنوان: "الكوفية"، وهو عنوان مقامة الحريري، ثم إنّ ترتيبها بين مقامات الهمذاني الخامسة، وهو يتفق مع ترتيب المقامة الكوفية عند الحريري، وهو ما يدفع بكيليطو إلى القول بأنّ مقامة الحريري هي قراءة لمقامة الهمذاني، ويصف ذلك في وقفته عند العنوان فيقول: "العنوان المشرق يضيء الطريق الذي سلكته القراءة، والطريق الذي سبق لها أن سلكته"[68]، ليس ذلك فحسب، فكيليطو يعتبر هذه المقامة "أسيرة شبكة من النصوص"[69]، وهو ما كان قد أشار إليه في المقدمة من خطابات تنتمي إليها المقامة، كما أشار أيضًا في التحليل إلى نصوص أخرى.

إن منحى القراءة الذي يقدمه كيليطو لا يمكن أن يتفق إلا مع النزعة التفكيكية في القراءة كما اتضح سابقًا، وكما يتضح مما تضمره من مفاهيم التفكيكية.

رابعًا: الكتابة وتقويض فكرة النوع الأدبي:

يتابع عبد الفتاح كيليطو قراءته للنثر العربي القديم في كتابه "الحكاية والتأويل" مرتكزًا على نزعة التفكيك، ليس ذلك على صعيد محاولات التأويل غير العادية التي يقدّمها في قراءته، وتتسم دائمًا بإقامة دلالات احتمالية غير محسومة، وإنّما يتجلى ذلك بما يشيع من مفاهيم التفكيكية وطرقها في القراءة، والتي برزت في أكثر من جانب لعلّ أهمها قراءة الكتابة النقدية كما لو أنّها كتابة أدبية، متجاوزًا بذلك ما استقر في النقد والثقافة حول الأنواع الكتابية، فقد كان من المستغرب أن تكون أول حكاية يتأولها كيليطو هي جزء من كتابة نقدية وردت في كتاب "أسرار البلاغة" لعبد القاهر الجرجاني، فقد

اقترح كيليطو ""قراءة" لستة نصوص سردية، البعض منها في "الأدب" والآخر في "الترجمة"، **ذاهبًا إلى أنّ كتاب "أسرار البلاغة" يروي حكاية من الحكايات**"[70]، وهو يسعى في قراءته إلى الكشف عنها، فيقول: "بيد أنني عند قراءة أسرار الجرجاني ألمح فيه عناصر قصة أصلية، عناصر مشتتة سأحاول جمعها ولمها. وأعني بالقصة الأصلية قصة تتحدث عن الوجود"[71]. ولتبرير ذلك يلجأ كيليطو إلى مفهوم مهم في النقد التفكيكي، إذ ارتكز على فكرة بول دي مان (Poul De Man)، عن "**العمى والبصيرة**"، ومفادها أنّ **العمى يحقق أعظم لحظات الإبصار**، وهو مفهوم أقامه في قراءته لنصوص النقاد الجدد في كتابه الشهير "العمى والبصيرة"، إذ يرى دي مان أنّ "أعظم لحظات العمى التي يمرّ بها النقاد بصدد افتراضاتهم النقدية هي أيضًا اللحظات التي يحققون بها أعظم بصائرهم"[72]، ويبدو أن كيليطو قد استفاد كثيرًا من ذلك، فهو يكاد يكرر عبارة بول دي مان بشيء من التحايل، فهو إذ يقرأ ما يقوله عبد القاهر الجرجاني في سبب تأليفه لكتاب "أسرار البلاغة" في مستويين: الأول أن الجرجاني "يضع تصميمًا لكتابه ويشير إلى المسائل التي سيدرسها بإسهاب"[73]، أمّا المستوى الثاني فيورده كيليطو في قوله: "المستوى الثاني يحيلني إلى "ما قاله" الجرجاني فعلاً. بانتباهي إلى **ما يريد المؤلف قوله أغفل ما قال. ذلك أنه يقول شيئًا مختلفًا، يقول شيئًا آخر**؛ فهو يتكلم عن الأجناس والأنواع ولا يقصد (فقط) الأجناس والأنواع الخطابية. إنّه يتكلم عن الرّحم، ثم النسب، ثم الحليف، ثم الزنيم"[74]، ليصل في النهاية إلى أنّ قراءة "أسرار البلاغة من هذه الزاوية تكشف عن امتدادات كثيرة ومدهشة لعلاقة الدم التي يمكن اعتبارها الخيط الرابط لكلام الجرجاني[75]، ثم يتبع ذلك بوقوفه عند الشواهد الشعرية التي يستدعيها الجرجاني عادًا ذلك خطابًا مشكلاً للقصة الأصلية التي يرويها الكتاب.

ليس ما سبق هو ما يربط كيليطو بما جاء في التفكيكية وما قاله بول دي مان فحسب، بل إنّ التفاتة كيليطو إلى أنّ عبد القاهر الجرجاني "عندما يتطرق للتشبيه والتمثيل والاستعارة، يستعمل بدوره التشبيه والتمثيل الاستعارة"[76]، لا تبتعد عن فكرة بول دي مان عن "لحظات العمى"، التي يرى أنّها المعادل الضروري للطبيعة البلاغية في لغة الأدب[77]. كما أنّها لا تبتعد عما نادى به هارتمان من ضرورة قراءة الكتابة النقدية كما تقرأ الكتابة الأدبية، وأنّ على الكتابة النقدية أن تستغل الأساليب البلاغية والمجازية للغة الأدبية كما أشير سابقًا.

خامسًا: استبعاد قصد المؤلف، وإلغاء مركزية النص، في قراءة كيليطو لحكاية الصياد والعفريت في "ألف ليلة وليلة" يعتمد على ما شاع في التفكيكية من ضرورة التخلص من الطريقة النقدية التي تسعى إلى البحث عن قصد المؤلف، ويرى كيليطو أنّ محاولة استعادة قصد المؤلف "لا تتعدى مستوى الافتراض"[78]. وعلى أساس ذلك تهتم القراءة بتفاصيل في الحكاية تبدو هامشية، ولا يمكن أن تكون جزءًا مقصودًا في ذاته، كالاهتمام بأنّ عدد أولاد الصياد ثلاثة، وأنّ من عادته أن يرمي شبكته كل يوم أربع مرات وما شابه ذلك[79]، إلى الحدّ الذي تبدو فيه القراءة وكأنّها تتجاهل حقيقة النص[80].

لقد اهتم كيليطو بقراءة "ألف ليلة وليلة" قراءة تحترف الاستفادة من التفكيكية في كتابه "العين والإبرة" دون أن تبرز ذلك كمنهجية راسخة في القراءة، فهو يصف قراءته بقوله: "وبصفة تدريجية ستسعى قراءتي لكتاب "الليالي" لا إلى تجريده من أسراره (بوساطة ما لا أدري من شبكة تأويلية)، بل إلى إطلاعه على سرّه الخاص، وذلك دون المسّ بكل احتمالات معناه"[81]، يشير كيليطو في هذا النص إلى أنه لا يسعى إلى تأويل كتاب الليالي، ولا إلى كشف سرّه، بل إطلاعه على سرّه بطرح الأسئلة التي تزعزع ثوابته، كأنما الكتاب هو من يفعل ذلك من تلقاء نفسه، أي بلغة دريدا جعل الكتاب "يقرأ من خلالها نفسه، ويفكك نفسه بنفسه"[82].

خلاصة البحث

إنّ النظر إلى طريقة القراءة التي يقدمها كيليطو هي ما تحظى بالأهمية هنا، بعيدًا عن الاتفاق أو الاختلاف معه ومع افتراضاته في القراءة، إنّ ذلك كلّه يؤكد أنّه يتحرك في أفق التفكيكية ونزعتها الخاصة في القراءة، والتعامل مع النصوص والكتابات بعيدًا عن تقسيماتها النوعية في نظرية الأنواع الأدبية، وبتركيزها على الدلالات الهامشية التي لم تكن في حسبان صاحب النص، وهو ما يشكل نقدًا لأساس النص ومنطق اشتغال اللغة فيه، أكثر مما هو قراءة للنص ذاته، وهو ما يوضح تمثل الناقد للتفكيكية.

إنّ مجمل ما سبق يوصل إلى مجموعة من النتائج بشأن قراءات كيليطو للأدب العربي القديم لعلّ أهمها:

1- أنّ كيليطو لم يصرح أنّه ينحو في قراءاته منحى القراءة التفكيكية، وهو ما يعني أنّه كان مدركًا أنّ التفكيكية ليست منهجًا يمكن حصره في مجموعة من الإجراءات المنهجية المحسومة والثابتة، وهو ما يدلّ على دقة فهم كيليطو لطبيعة التفكيكية بدرجة يفوق فيها أقرانه من النقاد العرب.

2- أنّ ما قدمه كيليطو من قراءات للأدب العربي القديم يثير قارئه بما تكشفه القراءة، وما تعمل على زعزعته مما هو في عداد الثابت والمستقر واليقيني، لتتفتح آفاقه على أبعاد

دلالية لم يؤسس النص على أساسها.

3- تحضر في قراءة كيليطو مفاهيم التفكيك التي ظهرت في نزعة التفكيك عند دريدا ونقاد جامعة ييل، مثل: الاختلاف/الإرجاء، والمكمل، والأثر، والكتابة، وفائض الدلالة...إلخ، بفهم دقيق لحيثيات هذه المفاهيم، من حيث كونها تؤسس طريقة القراءة دون أن تبلور في خطوات منهجية.

4- تشكّل قراءة كيليطو لنصوص الأدب العربي نزعة خاصة لزعزعة أساس النص، وتقويض ما يبدو أنّه يمثل أساس مقولته ومركزه المنطقي.

ولعل ما هو مثير في النهاية أنّ قراءات كيليطو اهتمت بالأدب العربي القديم لا الحديث، مع أنّ بعض الآراء الغربية كانت قد أشارت إلى أنّ النصوص ما بعد الحداثية هي وحدها التي تخلت عن المركزية المنطقية[83]، ويبدو أنّ كيليطو قد أقام مشروعه في القراءة التفكيكية على النصوص القديمة انطلاقًا من سمات معينة في هذا الأدب، فهو – أولاً – يطفح باكتناز لغوي فائق وشيق إلى حدّ الامتلاء والثراء الحاد كما هو الحال في نصوص المقامات، ثمّ إنه –ثانيًا – قد تشكل ضمن وضعية ثقافية صنعت خطابًا أدبيًا مهيمنًا جعلها – في النهاية – حصيلة طبيعية على مستوى التشكّل والتحقق، وهذا ما سمح وأسس لمشروعية هذا الشكل من القراءة، وهو ما كشف عن عمق النصوص التراثية وثرائها.

الهوامش

(1) قدم نيتشه مفهوم "إرادة القوة" (The Will to Power) الذي ربطه بعالم المظاهر وكل ما يحدث في الحياة، ورأى أن الفلسفة الغربية قبله قد قامت على رؤية مثالية، وقد رأى أن هذه المثالية "لا أصل لها ولا غاية، لا بداية ولا نهاية". ليشته، جون، خمسون مفكرًا أساسيًا معاصرًا، تر: فاتن البستاني، ط1، 441.

(2) غادامير، هانز جورج، طرق هيدجر، تر: حسن ناظم وعلي حاكم صالح، ط1، 126.

(3) ليشته، جون، خمسون مفكرًا أساسيًا معاصرًا، تر: فاتن البستاني، ط1، 239.

(4) كولر، جونثان، مدخل إلى النظرية الأدبية، تر: مصطفى بيومي عبد السلام، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 170.

(5) دريدا، جاك، الكتابة والاختلاف، تر: كاظم جهاد، تقديم: محمد علال سيناصر، ط2، 47.

(6) المرجع السابق، 58.

(7) رورتي، ريتشارد، التفكيك، موسوعة كيمبريدج في النقد الأدبي – من الشكلانية إلى ما بعد البنيوية، تحرير: رامان سلدن، مج8، مراجعة وإشراف: ماري تريز عبد المسيح، شارك في الترجمة: أمل قارئ وآخرون، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 281.

(8) "الأثر هو بنية تحيل على الآخر، عمومًا، (المتنافر، الغير، المختلف). وهو ليس حضورًا قائمًا يمكن للحس أن يلتقطه. وهو لا يؤدي إلى الحضور بقدر ما يؤدي إلى الانزياح (وإلى العدول) الذي يتضمنه المختلف. ابن عرفة، عبد العزيز، الدّالّ والاستبدال، ط1، 8-9.

(9) دريدا، جاك، الكتابة والاختلاف، 53.

(10) دريدا، جاك، في علم الكتابة، تر: أنور مغيث ومنى طلبة، ط1، 74.

(11) Tallis, Raymond, Not Saussure, Acritique of Post-Saussurean Literary Theory, Macmillan Press, London , second edition, 1995, 15.

(12) عبابنة، سامي، اتجاهات النقاد العرب في قراءة النص الشعري الحديث، ط2، 284.

(13) يقول جاك دريدا في لقاء أجراه معه عبد العزيز بن عرفة: "إن منحاي لا يبتغي التحول إلى منهجية، أي إرث معرفي يمكن الرجوع إليه وتداوله"، ابن عرفة، عبد العزيز، الدالّ والاستبدال، 28.

(14) كولر، جونثان، مدخل إلى النظرية الأدبية، 27.

(15) دريدا، جاك، الكتابة والاختلاف، 51.

(16) ابن عرفة، عبد العزيز، الدّالّ والاستبدال، 28.

(17) رورتي، ريتشارد، التفكيك، موسوعة كيمبريدج في النقد الأدبي – من الشكلانية إلى ما بعد البنيوية، 281-282.

(18) المرجع السابق، 290.

(19) المرجع السابق، 291.

(20) المرجع السابق، 292.

(21) دي مان. بول، العمى والبصيرة، تر: سعيد الغانمي، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط1، 1995، 218.

(22) Newton, K. M ,Interpreting the text , Acritical Introduction to Theory and Practice of literary Interpretation , Harvester Wheat sheaf , New York , London, First published , 1990, 84.

(23) زيما. بيير ف، التفكيكية دراسة نقدية، تعريب أسامة الحاج، ط1، 148.

(24) Newton, K. M, Interpreting the text, A critical Introduction to Theory and Practice of literary Interpretation 88.

(25) المرجع السابق، 89.

(26) الغذامي، الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية، قراءة

نقدية لنموذج إنساني معاصر، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ط1.

(27) إبراهيم عبد الله، التفكيك: الأصول والمقولات، سلسلة عيون، الدار البيضاء، 1990.

(28) مرتاض، عبد الملك، "نظرية التقويض (مقدمة في المفهمة والتأسيس)" علامات في النقد، النادي الأدبي الثقافي، جدة، 280.

(29) المسيري، عبد الوهاب، وتريكي، فتحي، الحداثة وما بعد الحداثة، دار الفكر، دمشق، ط1، 2003، 111.

(30) الماضي، شكري عزيز، من إشكاليات النقد العربي الجديد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1997، 174.

(31) انظر تفصيل ذلك: الشرع، علي، "التفكيكية والنقاد الحداثيون العرب"، مجلة دراسات، مج16، 1989، ع3، 212.

(32) Newton, K. M, Interpreting the text, A critical Introduction to Theory and Practice of literary Interpretation, 76.

(33) البنكي، محمد، دريدا عربيًا قراءة التفكيك في الفكر النقدي العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت، وزارة الإعلام والتراث الوطني – البحرين، ط1، 105.

(34) الشرع، علي، "التفكيكية والنقاد الحداثيون العرب"، 208.

(35) الغذامي، عبد الله، الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية، 93.

(36) انظر تفصيل ذلك: عبابنة، سامي، اتجاهات النقاد العرب في قراءة النص الشعري الحديث، 294–295.

(37) من هذه الدراسات: مرتاض، عبد الملك، بنية الخطاب الشعري: دراسة تشريحية لقصيدة أشجان يمانية ، ط1.
أ–ي. دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة "أين ليلاي" لمحمد العبد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1.
تحليل الخطاب السردي معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية "زقاق المدق"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1.

(38) تاوريت، بشير، وراجح، سامية، فلسفة النقد التفكيكي في الكتابات النقدية المعاصرة، عالم الكتب الحديث، إربد، ط1، 1430هـ–2009م، 103.

(39) إبراهيم، عبد الله، التفكيك: الأصول والمقولات، 45.

(40) إبراهيم، عبد الله وآخران، معرفة الآخر مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة، ط2، 115.

(41) أبو ديب، كمال، "الواحد/المتعدد البنية المعرفية والعلاقة بين النص والعالم"، فصول، مج15، صيف 1996، ع2، 48.

(42) المرجع السابق، 43.

(43) أبو ديب، كمال، جماليات التجاور أو تشابك الفضاءات الإبداعية، ط1.

(44) بنعبد العالي، عبد السلام، أسس الفكر الفلسفي المعاصر مجاوزة الميتافيزيقيا، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 1991، 136.

(45) المسيري، عبد الوهاب، والتريكي، عبد الفتاح، الحداثة وما بعد الحداثة، 111.

(46) كيليطو، عبد الفتاح، الأدب والغرابة دراسات بنيوية في الأدب العربي، ط2، 23.

(47) المرجع السابق، 53.

(48) كيليطو، عبد الفتاح، الكتابة والتناسخ مفهوم المؤلف في الثقافة العربية، تر: عبد السلام بنعبد العالي، ط1، 76–77.

(49) انظر: المرجع السابق، 18–19.

(50) انظر: المرجع السابق، 79.

(51) كيليطو، عبد الفتاح، الغائب دراسة في مقامة للحريري، دار توبقال، الدار البيضاء، ط2، 1997، 57.

(52) المرجع السابق، 66.

(53) المرجع السابق، 67.

(54) المرجع السابق، 68.

(55) المرجع السابق، 7–14.

(56) إيكو، أمبرتو، التأويل، تر: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، ط1، 119.

(57) Tallis. Raymond, Not Saussure, 90.

(58) كيليطو، عبد الفتاح، الغائب دراسة في مقامة للحريري، 57.

(59) دريدا، الكتابة والاختلاف، 104.

(60) كيليطو، عبد الفتاح، الغائب دراسة في مقامة للحريري، 30.

(61) المرجع السابق، 69.

(62) المرجع السابق، 86.

(63) المرجع السابق، 83.

(64) المرجع السابق، 83.

(65) المرجع السابق، 85.

(66) المرجع السابق، 85.

(67) دريدا، جاك، في علم الكتابة، 147.

(68) المرجع السابق، 27.

(69) المرجع السابق، 28.

(70) كيليطو، عبد الفتاح، الحكاية والتأويل، دار توبقال، الدار البيضاء، ط1، 1988، 6.

(71) المرجع السابق، 8.

(72) دي مان، بول، العمى والبصيرة، 1995، 179.

(73) كيليطو، عبد الفتاح، الحكاية والتأويل، 16.

(74) نص الجرجاني الذي يتحدث عنه هو: "واعلم أن غرضي [...] أن أتوصل إلى بيان أمر المعاني كيف تتفق وتختلف ومن أين تجتمع وتفترق، وأفصل أجناسها أنواعها، وأتتبع خاصها ومشاعها، وأبين أحوالها في كرم منصبها من العقل، وتمكنها في نصابه، وقرب رحمها منه، أو بعدها حين تنسب عنه، وكونها كالحليف الجاري مجرى النسب، أو الزنيم المُلصق بالقوم لا يقبلونه، ولا يمتعضون له ولا يذبون دونه..."، المرجع السابق، 16.

(75) المرجع السابق، 17.

(76) المرجع السابق، 8.
(77) دي مان، بول، مرجع سابق، 218.
(78) كيليطو، عبد الفتاح، الحكاية والتأويل، 23. كما ظهرت هذه القراءة في دراستين أخريين لكيليطو، أولها شغل فصلاً من أعمال ندوة بعنوان: المنهجية في الأدب والعلوم الإنسانية، شارك فيها كيليطو بهذه القراءة تحت عنوان "مسألة القراءة" إلى جانب عبد الله العروي وآخرون، وقد صدرت عن دار توبقال، الدار البيضاء، ط1، 1993، 22 وما بعدها، ثم أعاد نشرها في كتاب خاص عن "ألف ليلية وليلة" حمل عنوان العين والإبرة دراسة عن "ألف ليلة وليلة"، ترجمة مصطفى النحال، مراجعة مجمد برادة، شرقيات، القاهرة، ط1، 1995م.
(79) كيليطو، عبد الفتاح، الحكاية والتأويل، 24.
(80) كان هذا فحوى تساؤل لمحمد عزيز الحبابي عن هذه القراءة إثر تقديم كيليطو لها في الندوة المشار إليها توًا. العروي، ع. وآخرون، المنهجية في الأدب والعلوم الإنسانية، 37.
(81) كيليطو، عبد الفتاح، العين والإبرة دراسة في ألف ليلة وليلة، 11.
(82) دريدا، جاك، الكتابة والاختلاف، 49.
(83) لقد رأى وليام سبانوز (William Spans) – وهو واحد من منتقدي التفكيكية – أن الأدب من اليونان إلى مرحلة الحداثة قد حكم بهذه المركزية، وأن أدب ما بعد الحداثة هو الذي نجح في إبعادها. انظر:
Newton. K. M, Interpreting the text, A critical Introduction to Theory and Practice of literary Interpretation, 95 – 96.

المصادر والمراجع

إبراهيم عبد الله، 1990، التفكيك: الأصول والمقولات، سلسلة عيون، الدار البيضاء.

إبراهيم، عبد الله وآخران، 1996، معرفة الآخر مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط2.

أبو ديب، كمال، 1997، جماليات التجاور أو تشابك الفضاءات الإبداعية، دار العلم للملايين، بيروت، ط1.

أبو ديب، كمال، 1996، "الواحد/المتعدد البنية المعرفية والعلاقة بين النص والعالم"، فصول، مج15، ع2.

ابن عرفة، عبد العزيز، 1993، الدالّ والاستبدال، المركز الثقافي العربي، بيروت – الدار البيضاء، ط1.

إيكو، أمبرتو، التأويل، تر: سعيد بنكراد، 2000، المركز الثقافي العربي، بيروت الدار البيضاء، ط1.

بنعبد العالي، عبد السلام، 1991، أسس الفكر الفلسفي المعاصر مجاوزة الميتافيزيقيا، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1.

البنكي، محمد، 2005، دريدا عربيًا قراءة التفكيك في الفكر النقدي العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت، وزارة الإعلام والتراث الوطني – البحرين، ط1.

تاوريت، بشير، وسامية راجح، 1430هـ–2009م، فلسفة النقد التفكيكي في الكتابات النقدية المعاصرة، عالم الكتب الحديث، إربد، ط1.

دريدا، جاك، في علم الكتابة، تر: أنور مغيث ومنى طلبة، 2005، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1.

دريدا، جاك، الكتابة والاختلاف، تر: كاظم جهاد، 2000، تقديم: محمد علال سيناصر، دار توبقال، الدار البيضاء، ط2.

دي مان. بول، العمى والبصيرة، تر: سعيد الغانمي، 1995، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط1.

رورتي، ريتشارد، التفكيك، موسوعة كيمبريدج في النقد الأدبي – من الشكلانية إلى ما بعد البنيوية، تحرير: رامان سلدن، مج8، مراجعة وإشراف: ماري تريز عبد المسيح، شارك في الترجمة: أمل قارئ وآخرون، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1.

زيما. بيير ف، التفكيكية دراسة نقدية، تعريب أسامة الحاج، 1417هـ– 1996، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1.

الشرع، علي، 1989، التفكيكية والنقاد الحداثيون العرب، مجلة دراسات، مج16، ع3.

عبابنة، سامي، 2010، اتجاهات النقاد العرب في قراءة النص الشعري الحديث، عالم الكتب الحديث، إربد – الأردن، ط2.

غادامير، هانز جورج، طرق هيدجر، تر: حسن ناظم وعلي حاكم صالح، 2007، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1.

الغذامي، عبد الله، 1405هـ–1985م، الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية، قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ط1.

كولر، جونثان، مدخل إلى النظرية الأدبية، تر: مصطفى بيومي عبد السلام، 2003، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1.

كيليطو، عبد الفتاح، 2006، الأدب والغرابة دراسات بنيوية في الأدب العربي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط2.

كيليطو، عبد الفتاح، 1988، الحكاية والتأويل، دار توبقال، الدار البيضاء، ط1.

كيليطو، عبد الفتاح، العين والإبرة دراسة عن "ألف ليلة وليلة"، ترجمة مصطفى النحال، 1995م، مراجعة مجمد برادة، شرقيات، القاهرة، ط1.

كيليطو، عبد الفتاح، 1997، الغائب دراسة في مقامة للحريري، دار توبقال، الدار البيضاء، ط2.

كيليطو، عبد الفتاح، الكتابة والتناسخ مفهوم المؤلف في الثقافة العربية، تر: عبد السلام بنعبد العالي، 1985، دار التنوير

للطباعة والنشر، بيروت، ط1.
ليشته، جون، خمسون مفكرًا أساسيًا معاصرًا، تر: فاتن البستاني، 2008، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1.
الماضي، شكري عزيز، 1997، من إشكاليات النقد العربي الجديد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1.
مرتاض، عبد الملك، 1992، دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة "أين ليلاي" لمحمد العبد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1.
مرتاض، عبد الملك، 1986م، بنية الخطاب الشعري: دراسة تشريحية لقصيدة أشجان يمانية، دار الحداثة، بيروت، ط1.
مرتاض، عبد الملك، 1995، تحليل الخطاب السردي معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية "زقاق المدق"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1.
مرتاض، عبد الملك، 1420هـ-1999م، "نظرية التقويض (مقدمة في المفهمة والتأسيس)" علامات في النقد، النادي الأدبي الثقافي، جدة.
المسيري، عبد الوهاب، وتريكي، فتحي، 2003، الحداثة وما بعد الحداثة، دار الفكر، دمشق، ط1.
Newton, K. M ,Interpreting the text , Acritical Introduction to Theory and Practice of literary Interpretation, Harvester Wheat sheaf , New York , London, First published , 1990.
Tallis, Raymond, Not Saussure, Acritique of Post-Saussurean Literary Theory, Macmillan Press, London , second edition, 1995.

Deconstruction and Reading Old Arabic Literature
Abdelfattah Kilito As a Model

Sami Ababneh*

ABSTRACT

This study tried to explore the presence of deconstruction in readings of old Arabic literature by examining Kilito's readings of Arabic writings in a collection of works where he studied old Arabic texts. The study also explored the procedural concepts that belong to the deconstruction theory and philosophy present in Kilito's readings. This research aimed at bringing light to Kilito's method of reading old Arabic texts, and its benefit in enriching the meanings of those texts.

The researcher also studied the concepts of deconstruction in the west to illustrate its main characteristics and anchors. The researcher, as well, pointed at the Arab critics 'reception of deconstruction, and what Kilito presented in this area.

The study showed that Kilito's readings tacitly demonstrated the main concepts of deconstruction in writing, such as, difference/ Deference, Supplement, trace, and writing without indicating that he adopted deconstruction and its method in reading.

Keywords: Deconstruction, Old Arabic Literature, Kilito, Model.

* Department of Arabic Language, Faculty of Arts, The University of Jordan. Received on 7/1/2014 and Accepted for Publication on 7/7/2014.